د. إلهام غالي

الأنثروبولوجيا الفكرية

دراسة في انثروبولوجيا بيير بورديو

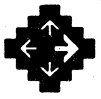

دار شرقيات للنشر والتوزيع

الانثروبولوجيا الفكرية

دراسة في انثروبولوجيا بيير بورديو

د. إلهام غالي

الطبعة الأولى ١٩٩٩

© حقوق النشر محفوظة لدار شرقيات ١٩٩٩

دار شرقيات للنشر والتوزيع
٥ ش محمد صدقي، هدى شعراوي،
الرقم البريدي ١١١١١
باب اللوق –القاهرة
ت: ٣٩٠٢٩١٣
س. ت: ٢٦٩١٩٨

غلاف واخراج: ذات حسين
لوحة الغلاف: للفنان ناظم سبير

المقدمة
التحول الجديد في علم الاجتماع

تشهد العلوم الاجتماعية الآن ولادة جديدة. وذلك بمعنى أنها تشق طريقها نحو التخلي عن الأطر والنظريات والأنماط والتفاسير وتتجه نحو التساؤل حول معارفها. وتعمل على تطوير موضوعاتها وأدوات استدلالها وأساليب بحثها أو شروط إنتاجها. ويبحث علم الاجتماع الجديد في التحرر من النظريات الكبرى والأسماء الكبيرة: دوركايم وفيبر وأوجست كونت وسان سيمون وكارل ماركس وغيرها من الأسماء. يبحث إذن علم الاجتماع عن التحرر من الأنساق المغلقة والمناهج الأحادية. ذلك أن موضوع علم الاجتماع نفسه قد تغير إلى جانب تغير المناهج والتصورات والأدوات والإجراءات.

وتشهد بالتالي العلوم الاجتماعية ولادة موضوع جديد ليس بالدقة هو المجتمع إنما هو حقل العلاقات بين الفاعلين الاجتماعيين. لقد حل الفاعل أو العميل ككيان محسوس محل

المجتمع. فقد كان المجتمع يلعب دورا على مسرح العلوم الاجتماعية جعله يرقى إلى مرتبة المبدأ المتعالي على الفاعلين الاجتماعيين أو الجوهر الذي يتجاوز الفاعلين إلى ماورائهم أو الضرورة القصوى التي تخنق حرية الفاعل الاجتماعي. وأصبح علم الاجتماع يدرس العلاقات الاجتماعية بين الفاعلين الاجتماعيين. وإذا كان لايزال يدرس الاجتماع فإنه يدرس العالم الاجتماعي أو الحقول الاجتماعية أو المساحة الاجتماعية أو المجالات أو التفاعلات الاجتماعية.

كما تغيرت تصورات وأنماط وأدوات التحليل في علم الاجتماع. لم يعد المجتمع آلة معقدة أو جهازاً أو خلية حية بل أصبح ينتج النزاع والرهان والمسرح والنص. كذلك لم تعد تصورات الطبقة والفئة والشريحة كافية للتفسير الاجتماعي. وأصبح هناك ضرورة لدراسة علاقات المعنى إلى جانب علاقات الاقتصاد، ورؤوس الأموال الرمزية إلى جانب رؤوس الأموال المادية. ومن هنا عرّف بيير بورديو علم الاجتماع بأنه علم اجتماع السلطات الرمزية. وأصبح المجتمع لا يسير على خط صاعد، متصل نحو رقيه وكماله، بل عاد إلى الاختلالات والتراجعات والانقطاعات على أكثر من مستوى ولها أكثر من سرعة. وهي دوما تتعقد وتتأزم وتفقد عقلها أو موقعها. وأصبح علم الاجتماع يضع في حسابه

الإمكان والاحتمال. لأن المجتمع لم يعد يثبت على حال أو يستقر على أمر من الأمور أو ينحاز إلى نمط واحد من الأنماط أو ينتظم غاية الانتظام. وهكذا أصبح المجتمع لا يكتمل أبداً. كذلك تغير منهج التحليل.

وعلى هذا لم يعد المجتمع "شيئا" بل أصبح "علاقة". فعلم الاجتماع لا يتخلى عن علميته حينما يستقل عن علوم الطبيعة. بل يصارح نفسه عندما يدخل ما كان واقعا خارجياً. فضلا عن ذلك لم يعد الواقع الاجتماعي واقعا خاصا أو صافيا بل أصبح يتكون وينتج. ولا ينفصل الواقع الاجتماعي عن إجراءات إقراره وآليات إنتاجه ومؤسسات تناوله.. ومن ثم لا ينفصل الواقع عن مراقب الواقع، المحقق عن المحقق معه، المحلل عن الفاعل الاجتماعي. فهما يدوران معا ضمن منظومات مختلفة للتبادل والتفاعل، للتعايش والتواصل، أو للتجاذب والتنافر.

وهذا تغير في المنهج ساهم فيه بيير بورديو وانتقده في الوقت نفسه. لاشك عنده أن المجتمع لم يعد جوهراً ثابتا وأنه يُكوِّن "علاقات". إلا أن المنهجية الجديدة التي سماها "الانثروبولوجيا الفكرية" تحافظ بقوة على فكرة "الموضوعية الاجتماعية" في جوهرها ومشروعها الحقيقي. ويعني ذلك أن

علم الاجتماع الذي أسسه بورديو يقوم على نزعة عقلانية ترفض التجريبية ونظرية الإرادة الذاتية. وكون منهجيته تقوم على عقلانية نقدية تضرب جذورها في الفلسفة النقدية لعمانوئيل كانظ، كيف لا تتخلى عن نوع خاص من أنواع المنهج الجاهز والمنطق المقلق والشرط المسبق والموضوع القائم بذاته؟

ويتناول الفصل الأول مشكلة العلاقة السوسيولوجية بين الفهم والتفسير. وأما الفصل الثاني فيحلل طريقة اقتراب بورديو من التحليل الطبقي. وفي الفصل الثالث يثير الكتاب العلاقة المضطربة بين الاتجاه البنيوي المسيطر على تحليلات بورديو النظرية والتطبيقية وبين اقتباسه مصطلح التحليل الطبقي ونرجئ لبحث آخر أو لكتاب آخر مهمة استكمال رحلتنا في مجال انثروبولوجيا بيير بورديو.

الفصل الأول
الوحدة بين الفهم والتفسير